16me Année No. 714

Lundi — 10 — 8 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ربيع الثانى سنة ١٣٦٦ — ١٠ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

إنه جهاد لا ســـياسة !

للاســـتاذ محمود محمد شاكر

عجبتُ أشدَّ العجب حين قرأتُ فى الأسابيع الماضية خبر وَساطة سورية ولبنان وغيرهما من بلاد العرب والتى أرادوا بها اجتلابَ التفاهم بين بريطانيا ومصر والسودان . ومعنى ذلك أن البلادَ التى دفعتها الغيرة والصداقة والقُربَى إلى هذه الوساطة ، تَسْعِى أو تظنُّ أو تؤمِّل أن تكون المفاوضةُ بيننا وبين بريطانيا خيراً من الارتفاع إلى مجلس الأمن أو الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة ، ليقضى بيننا فيما اختلفنا فيه !

وللعجب من مِثْل هذا الفِعْل وجوهٌ كثيرةٌ . فمن ذلك أننا ظللنا نُفاوض هذه الدولة المتغطرسة سنين طوالا مَرَّرين بالمفاوضة ، فما أجدتْ علينا إلا ألواناً من البلاء ، وعلمتنا ضروباً من كَذِب الألسنة واحتيالها وخداعها ، وعرفنا أن بريطانيا تراوغُ ما استطاعت المراوغةَ ، وتتجنَّى ما أطاقت التجنِّى ، ولا نكسبُ نحنُ من ذلك شيئاً إلا الفرقةَ والتدابُر والتنابُذ والتشاتُم ، وهى كلُّها من مبيدات الأمم . نعم ، وكانت العِبْرة التى لا عِبْرة بعدها أن القوم الذى ظلُّوا أكثر من خمسة وعشرين عاماً يُصرُّون على أن المفاوضة هى خير طريقٍ لاستنقاذ حقوقنا من الأيدى الغاصبة ، هم هُم القوم الذين عرفوا أن لا جدْوى من المفاوضة ، فقطعوها وآثروا أن يرفعوا الأمر إلى هيئة دولية تحكُمُ بيننا : هذا فضلا عن أن صريح الرأى ، وصريح الدلالة ، وصريح التجربة ، تُوحى جميعاً بأن بريطانيا لم تستفد قطُّ من شىء فى هذا الشرق المبتلى بها ما استفادت من مبدأ المفاوضة . فهو الذى أتاح لها فى مصر مثلاً أن تُطفئ جمرة الشعب المصرى التى ظلَّت تتوهَّج فيما بعد سنة ١٩١٩ ، حتى صدق فيها قول المتنبى :

وكم ذا بمصر من المضحكاتِ ولكنه ضحكٌ كالبُكَى

فمن هذه المضحكات البكية ، ما كان من تقرير المفاوضين الذين جاءوا بمعاهدة ١٩٣٦ ، والذين استطاعوا أن يصبُّوا فى آذان الشعب من الكلام الفاتن حتى احتفل بها احتفاله المذكور على أنها « معاهدة الشرف والاستقلال » ! ! ومن ذلك أن ترى شعباً قد أُوذى وامتُهِن وحقِر على يدِ فئة من عُطاة السكريين فإذا هو يحمل ممثل هذا الشعب بعدَ قليل على الأعناق ! ونحنُ لا نذكر هذا رغبةً فى ذكره ، ولكن الذين توسَّطوا ينبغى لهم أن يعرفوا هذه الفظائع التى أورثتنا إياها مبادئ المفاوضة وما يتبعُها .

ومن أساس العجب أيضاً أن سورية ولبنان تعلم حقَّ العلم ، وتعلم بالتجربة التى جربتها مع الفرنسيين ، أن المفاوضة لا تجدى ، وأنها لم تنلْ حقَّها إلا حين كانت يداً واحدةً تطالب بحقها المغصوب ، فلم تقبل معاهدة ولا شروطاً ولا وعوداً تعد بها

فرنسا ، وأصرّت على ذلك إصرارَ الكرامِ القادرين ، فإذا فرنسا تجلو بجيوشها جميعاً عن كل بقعةٍ من بقاعها ، وكل مكتب من مكاتبها . فالذين يعرفون هذا فى أنفسهم ، إذا هم أنوا خلافه أو أرادو غيرهم على إتيان خلافه ، إنما يزيدون العجبَ عجباً ولا ريبَ .

أما العجبُ العاجبُ فهو أن هذه الدول التى بذلت وساطتها نسيتْ موقف بريطانيا فى مسألة السودان كل النسيان ، وغفلت عن السرّ الذى دفع بها إلى إيثار التشدّد على المساهلة ، والصراحة على المواربة . وذلك أنها لا تريدُ أن تفصل السودان عن مصر مُكايدةً لها أو انتقاماً منها ، بل لأنها لا تريدُ الجلاء عن مصر كلّ الجلاء ، وهى تعلم أن السودان هو مصر ، فبقاؤها فيه هو بقاؤها فى مصر سواء بسواء . ولكن بريطانيا لا تريدُ أن تفضح نفسَها بالإصرار على البقاء فى أرض مصر ، فاخترعت قصة الدفاع عن مصير السودان واستقلاله أو تهيئته للحكم الذاتىّ وأنه لا بُدّ لذلك من أن تبقى فيه حتى يتهيّأ ويستعدّ ، وأن تمنع مصر الباغية من العدوان على السودان ! ! وهذا كله تدليسٌ بيّنٌ ، وكنا نرجو أن يعرف المتوسّطون حقيقة هذه المسألة على وجهها فيكفّوا عن الوساطة التى تعودُ بنا إلى المفاوضة — أى إلى تعذيب الشعب المصرىّ السودانىّ سنين أُخَر ، وإلى بقاء العالم كله جاهلا بعدالة قضية مصر والسودان على وجهها الصحيح .

وأما أعجبُ العجبِ : فهو أنهم نسوا ما تُلاقى فلسطين على يد البريطانيين اليوم ، من إرخائها الحبْل لنذالة الإرهاب اليهودى ومعاونتها فى هجرة اليهود بأساليبها الخدّاعة ، واحتمالها فى ذلك الأمر ما لم تكن تحتملُ قليلا أو كثيراً من مثله حين ثارت العربُ على ظلمها وبغيها وعدوانها هى وأشياعها من يهود . وهل نفسى ، نحن العرب ، لم وعدت بريطانيا شُذّاذَ اليهود الذين ضربَ الله عليهم الذلة والمسكنة ، بأن يفشوا فى فلسطين وطناً قوميًّا ، ثم معاونتهم لهم فى ذلك ، ثم إغضاءها عن جشع اليهود بعد ذلك وطلبهم إنشاء « دولة يهودية » تقوم فى قلبِ الأوطان العربية التى تحيط بها من كل ناحية ؟

إن الوساطة لا تكون حقاً إلا حين تتوسّط بين شريفين كريمين يُحْسِنان تقدير الوساطة . فما الذى رأته سورية ولبنان وسواهما من الشرف والكرَم فى تاريخ بريطانيا فى بلادِ العرب حتى تركب هذا المركب الوعر ؟

الجواب : لا شىء ، بل النقيضُ هو الصحيح .

***

وأنا لا أكتب هذا عتاباً ولاملامةً ، فأنا لا أشك فى أنهم جميعاً إنما أرادوا الخير ، وظنّوا الخير ، وعملوا للخير ، ولكن غير ذلك كان أولى وأدلّ على فهم الحقائق .

لقد وضعت الحربُ العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) فإذا الشعوب العربية فِرَق مقطّعة بين الدولتين الباغيتين فرنسا وبريطانيا ، وكان رأى العرب مفرّقاً ضائعاً فى فوضى الاضطراب الذى أعقبَ الحرب ، ومع ذلك فقد قامت الثورات فى كل مكان مطالبة بالحقوق الواضحة التى لا جدال فى وضوحها ، فأنكرتها علينا بريطانيا وفرنسا ، ولكنّا مع ذلك ثُرْنا وبقينا نثور فى كلّ مكانٍ .

ثم جاءتنا الحرب العالمية الثانية ، فإذا رأى العرب مُجتمع غير مفرّق كما كانَ بعد الحرب الماضية ، وبدأنا نثورُ فإذا الثورات قد خمدت بعد قليلٍ ، وإذا نحنُ نوشِكُ أن نتفرق بعد اجتماع . ولعلّ هذا رأى غريبٌ مع ما نرى من قيام الجامعة العربية ، ومن تصريحها فى مناسبات كثيرة بأنها تؤيد مطالب مصر أو مطالب غيرها من الأمم العربية بالإجماع . بيد أن السبب الذى من أجله أخشى تفرّق الكلمة هو ما رأيت من أمثال هذه الوساطات التى تردّ كلُّها إلى سببٍ واحدٍ ، هو أن الرأى العربىّ لم يدرُسْ القضايا دراسة مستوعبةً ، ولم يتخذ لنفسه خُطّة بيّنةً واضحةً فى كل قضية . وأظنُّه لو فعل ذلك لنفى من قلبه خاطرَ هذه الوساطات بين أقوام العرب ، وبين الدول المتنطرسة التى لا أمانة لها ، ولا هدفَ لها إلا استعباد هذا الشرق بأساليبٍ « مطابقة لمقتضى الحال » .

وإنه لأولى بنا جميعاً ، نحن العرَب ، أن نصارح بالعداء كلّ أمة من أمم الطغيان الاستعمارى ، وأن نحذرَ كلّ الحذر مزالق السياسة وأساليبها الخدّاعة ، فإننا أمم مجاهدةٌ ، وينبغى أن نظل مجاهدة حتى تنال حقها فى كل مكان ، من أقصى

الشرق إلى أقصى الغرب . والمجاهد مُقاتِلٌ ، لا صاحب سياسة ومُوَارية ومداراة ، فإن ضرَرَ هذه الثلاثة على الشعوب المجاهدة أكبَرُ من أن تستغفل عنه أو تتهاون فيه .

وأنا أتعجَّبُ أحياناً : لماذا لا تتعاونُ الدول العربية جميعاً والدول الشرقية الخاضعة للاستعمار ، فتهبَّ هبَّة رجل واحد ، وتقاطع هذه الدول الباغية ، وتقول لها : إنى لن أتعاون حتى أنال كلَّ حقوق كاملة غير منقوصة ! وهذا شيء ليسَ بغريب بعد قيام هيئة الأمم المتحدة التي يزعمون أنها أنشئت للمحافظة على سلام العالم ، والتي تنقض مبادئها كل حجة تقالُ في مسألة مخافة العُدْوان على هذه الأمم بعد خروج الجيوش المحتلة من أراضيها ، ولو فعلنا ذلك ، وأبينا أن نُلْقِيَ السِّلَم حتى تحلَّ هذه القضايا الكثيرة التي عقَّدتها بريطانيا وأشياعها من الدول المستعمرة ، لكان قريباً أن ننال كل ما نريد ، ولكان ذلك معواناً للشعوب العربية والشرقية على الشعور بقوَّتها وعزَّتها واجتماع كلمتها ، ولكان ذلك وقاء لنا من أن نكون كما نحن الآن : خداعٌ يُراد بمصر ، وخداع يُرادُ بالسودان ، وخداع يُراد بالمغرب ، وخداعٌ يرادُ بالهند وما جاوَرَها .

إنه ليس عجيباً . بل الدلائل على صدقه وعلى صلاحه ما رأينا من نتائجه بعد قيام الجامعة العربية التي لا تزال في أول نشأتها . فالجامعة العربية على قلة وسائلها وقلة تجربتها ، قد جعلت العالم العربي كله يتنبَّه إلى أن في الدنيا شيئاً من القوة لا يَنفع في الخلاص منه سلاحٌ فتَّاك ولا غطرسةٌ حربية . فإذا اجتمعت الكلمةُ في الشرق كله ، وهبَّت الأمم الشرقية كلها مرة واحدة لاستيقظ العالم كله على صوت هذه الضجة المدوِّية ، ولطالبت الأمم الغربية نفسها بدراسة هذه المسائل المعقَّدة وفهمها على وجهها الصحيح ، لا على الوجه الذي ظلَّت بريطانيا وسواها من حكومات الاستعمار تعمل جهدها سنين مطاولةً على تدليسه وبثِّه في صحافتها وكتبها وإذاعاتها . فلا سبيل إلى ردّ هذه الأكاذيب جملة واحدة إلا بأن نشعر العالم جملة واحدة بما نريد ، فيتنبَّه ويستعدُّ للمعرفة ، فنتخذ عندئذ كل وسيلة إلى إفهامه عدالة قضايانا ، ونكشف له عن الأكاذيب التي أذيعتْ عليه من قِبَلُ ، ونفضح أساليب سياسة الاستعمار في تشويه الشعوب وقضايا الشعوب .

هذا رأيٌ ، وطريقة العمل له ميسرة وواضحة . وهو شيء كبيرٌ ، ولكن صاحب الحقّ الذي يستهول الإقدام على بيان حقه بالأساليب التي ينبغي اتخاذها وإن عظمت ، لن ينال شيئاً إلا العجز ، وتراكم العجز بعد العجز ، ثم ضياع حقِّه إلى الأبد .

ولقد بدأت مصر والسودان تخرج بقضيتها عن محيط المفاوضة إلى الاحتكام إلى الدول الممثلة في هيئة الأمم المتحدة ، فينبغي على كل عربي وشرقيّ أن يحرِّضها على ركوب هذا الطريق وإن شق مسلكه ، وينبغي على كل دولة عربية وشرقية أن تقف صحافتها وإذاعتها صفّاً واحداً للجهاد في سبيل مصر والسودان — أي في سبيل فلسطين وليبية ومراكش والجزائر وتونس والهند وما والاها ، أي في سبيل الدفاع عن حقوق جميع الشعوب التي ذاقت مرارة الاستعمار ونكاله أجيالا أو أعواما . والعاقبة للمجاهدين الصابرين على لأواء الجهاد وبأسائه .

محمود محمد شاكر

مطبعة الرسالة :

تقـــدم قريباً

الذوق الفـــني والطبع الأنيـــق

في الطبعة الجديدة من كتاب :

تاريخ الأدب العربي

للأستاذ

أحمد حسن الزيات